التعدد اللغوي وأثره في تدريس اللغة العربية بالمغرب

د.مليكه ناعيم
أستاذة اللغة العربية
كلية اللغة العربية-مراكش- المغرب

ملخص:

تبتغي هذه الدراسة مقاربة مشكلة باتت تؤرق المنظومة التربوية المغربية عامة، والتعليم الجامعي على الخصوص، وهو تراجع مستوى الاهتمام باللغة العربية وتدني مستوى الطالب المتخصص فيها، وشيوع الأخطاء وكثرة التعثرات، والنفور من هذا التخصص الذي صار لدى البعض رمزا للضعف في التكوين وسوء التوجيه ودليلا على سوء الطالع، يخجل من الافصاح عنها ويتهرب من الاجابة عندما يسأل عن تخصصه، لذلك تحاول هذه الدراسة مقاربة التي ساهمت في تدريس اللغة العربية بالغمرب، وتسليط الضوء على أهم القضايا التي تهم تدريس اللغة العربية ، بغية اقتراح بعض الحلول للتغلب على التحديات القائمة. وبالتحديد حاولت الدراسة الإجابة عن الاشكال الاتي: ما هي عوامل تراجع اللغة مستوى اللغة االعربية في التدريس بالمغرب بعد الاستقلال؟

Cette étude de recherche aborde une approche de problème dans le système éducatif au Maroc en générale, et l'enseignement supérieur en particulier, ce qui a provoqué baisse de niveau et une mauvaise orientation, avec toute ses anomalies et lacunes, même les étudiants fuient cette spécialité et quand ils refusent de divulguer leur spécialité par la simple raison qu'ils sou estiment la langue arabe.

Cette étude tente d'approcher qui a contribué à l'enseignement de l'arabe au Maroc, et mettre en évidence les questions les plus importantes de préoccupation à l'enseignement de la langue arabe, afin de proposer des solutions pour relever les défis. Plus précisément, l'étude a tenté de répondre les formes suit: Quels sont les facteurs de l'enseignement de la langue arabe dans le niveau de déclin au Maroc après l'indépendance ?

1/ في رحاب المشكلة:

تعتبر اللغة العربية اخر اللغات السامية خروجا من الجزيرة العربية لتمتد على نطاق واسع بانتشار الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية، ويجري الحديث بلهجاتها اليوم في كثير من بلدان الشرق الاوسط وشمال افريقية ، (الموسي، ص.55)، وتأتي اللغة العربية في المرتبة من الخامسة حتى السابعة في اللغات الأكثر انتشاراً في العالم . كما تعتبر اللغة الرسمية للدولة المغربية في مختلف الدساتير منذ دخلت المغرب واصبحت لغة الدين وعلومه والعلوم العقلية والعلوم الدقيقة والالية التي اعتبرت في الثقافة الاسلامية من الدين" (غلاب 40)، ثم صارت اللغة الاولى في الدستور الاخير بعد ان اقر الامازيغية لغة رسمية ثانية للمغرب ومنه: " تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة. يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفيات إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية .(الدستور المغربي)، واللغة العربية هي لغة الام لجزء كبير من أبنائه، واللغة الالزامية في التعليم الاساسي والاولي، فقد أكد الميثاق الوطني للتربية والتكوين بالمغرب مثلا على أن "اللغة العربية، بمقتضى دستور المملكة، هي اللغة الرسمية للبلاد... وأن تعزيزها واستعمالها في مختلف مجالات العلم والحياة كان ولا يزال وسيبقى طموحا وطنيا "(المادة 110)، كما قرر أيضا أن "يتم تجديد تعليم اللغة العربية وتقويته، مع جعله إلزاميا لكل الأطفال المغاربة، في كل المؤسسات التربوية العاملة بالمغرب.

" (المادة 111). ولا شك أن تطوير اللغة العربية في هذه المرحلة التاريخية من الضروريات الحضارية التي يفرضها الحفاظ على الهوية الوطنية والقومية والرفع من المستوى العلمي والتعليمي للمواطن.

وعلى الرغم من هذه القيمة العالمية والدينية والوطنية للغة العربية، فقد لوحظ في السنوات الاخير تراجع مستوى الاهتمام باللغة العربية وتراجع في نسبة المهتمين بها وتدني مستوى المتخصصين والمقبلين عليها. وشاعت مجموعة من الافكار السلبية والاقوال المغرضة التي تغرس في أذهان الطلاب أن اللغة العربية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح أداة للعلم ولا وسيلة للبحث العلمي.

لقد صار التخصص في اللغة العربية والتسجيل في احدى الكليات المتخصصة في نهاية الطريق وعلامة على ضعف مستوى الطالب وامارة خيبة الامل وسوء الطالع، إذ في الغالب لا يقدم عليها إلا ذوي المعدلات الضعيفة وبعد أن توصد أبواب التخصصات الاخرى في وجههم بدعوى عدم استيفاء الشروط المطلوبة خاصة معدل الطالب في سنتي البكالوريا، ومجموع النقط المحصل عليها في المواد الاساس المؤهلة للمعاهد والتخصصات المطلوبة وطنيا ودوليا، خاصة الفرنسية والانجليزية والاعلاميات، وقل ما يقبل عليها ذوي المعدلات العالية، وكثيرا ما يستهزأ بهذا التخصص بعبارات تحقيرية من مثل (إلا ما كان والو نتسجلو فكلية اللغة/ الغالب الله نمشو لكلية اللغة). لقد تراجعت قيمة اللغة العربية عند ذويها إلى درجة جعلت الطلاب يخجلون من الافصاح عن هذا التخصص لما يستفسرون لسبب كيفما كان عن تخصصهم وقد يبيح أحدهم لنفسه الكذب وادعاء انتماء لم يدرسه عن الافصاح عن تخصص مخجل كاللغة العربية. والاشكال الاكبر هو ان المتخصص لا يتمكن بعد سنوات التخصص من اتقان اللغة العربية بل يظل دائما اسير التعثرات والاخطاء نطقا وكتابة وقراءة، بل يصدق قول الدكتور شكري فيصل متحدثا عن تدريس اللغة العربية في الوطن العربي : "من المؤسف أن يكون واقع شبابنا الذي يتخرج من الثانويات- وهل علي من حرج أن أقول : والذي يتخرج من الجامعات . أنه لا يتقن لغة ما . حتى العربية أحيانا- لقراءتها قراءة تدبر.. ولذلك فهو لا يقرأ... وإذا قرأ فهو لا يفهم، وإذا فهم فهو لا يعقل، وإذا عقل فهو لا يتفاعل.. لأن الشرط الأول في تحقيق التفاعل هو امتلاك اللغة"(شكري: 1986: 402)

وعبر عن ذلك بصورة أخرى لغوي كبير هو د. نهاد الموسى حيث قال : "إن الطالب العربي المتخرج في المدرسة بل المتخرج في الجامعة لا يقرأ كما ينبغي أن يقرأ(...) ولا يكتب كما ينبغي أن يكتب، فهو كثير الخطأ في الإملاء، كثير الخطأ في النحو (...) وهو كذلك لا يسمع كما ينبغي له أن يستمع... (نهاد الموسى : 1983، ص 152).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يلاحظ الضعف أيضا على طلاب الدراسة العليا، وهم متميزون وإلا ما كانوا هناك أصلاً إذ قل أن تجد بينهم من رقيت قدرته إلى حد كتابة أُطروحته دون عونٍ كبير من المشرف، كما أن غالبيتهم تعجز عن كتابة نص صالح للنشر في مجلة علمية، أو كتابة بضعة أسطر لا تتجاوز صفحة في مناقشة مسألة أثناء الامتحانات، أما مناقشة الأُطروحة أمام لجنة الامتحان حيث تختبر مهارة الإلقاء باللغة الفصحى فقد كانت مثاراً للتعليقات التي يشوبها التندر، وهؤلاء كانوا قد قضوا على الاقل ست سنوات من التخصص في اللغة العربية. وكثيراً ما كان بعض الطلاب الذين يكلفون بإعداد بحث مكتبي ينقلون حرفياً من المراجع التي يستشيرونها حتى أن من يقرأ ما كتبوه يشعر وكأن المؤلف الأصلي هو المتحدث. وكان المفترض كما علمهم مشرفهم أن يقرأوا كثيراً ويستوعبوا ما قرأوه ليكتبوا بعد ذلك من ذات أنفسهم وبعباراتهم هم

لقد التفتت جميع الجهات المهتمة بواقع اللغة العربية وأزمة تدريسها، إلى هذه المعضلة التي تعاني منها اللغة العربية وهذا الموت الذي بات ينشب فيها أظافره بشكل بطيء لكنه مخيف، بل كثرت الشكوى من ضعف الطلبة في اللغة العربية أحيانا ، ومن صعوبتها أحيانا اخرى ، ومن عجزها عن مواكبة العصر وسوق الشغل، وكثرت الاتهامات والهجوم على اللغة وبخاصة من أصحابها وكثرت الدعوات إلى استبدالها أو تغيير الحرف العربي أو الكتابة بالعامية، وهي دعوى أثارت جدلا كبيرا في المغرب خلال الايام القليلة الماضية، وكثير من هذه الدعوات المغرضة المشبوهة كانت تغلف بغلاف الحرص على التقدم ومواكبة العصر ومسايرة الآخرين في استبدال لغتهم الأم ؟ وكثيرا من نسمع في وسائل الاعلام والندوات والايام الدراسية بل ونقرأ في الصحف والمجلات وبعض الكتب والتقارير العالمية عن أزمة اللغة العربية واحتضارها واقترابها من الموت وان لم نقل موت اللغة العربية وعدم انسجامها مع روح العصر والتقدم العلمي، لكن قلما ما يبحث القائلون عن الاسباب لتقديم الحلول وكأن المرض مستعص على العلاج والواقع مفروض لا ملجأ ولا منجأ منه والحضارة تلزم ولا خيار الإعراض عنها. بل منهم من تجرأ على شخصها فاقترح حلولا تقر بعدم جدوى العربية كمن دعا إلى اعتماد اللهجات العامة بدل الفصحى أو استبدال الابجدية العربية بالحرف اللاتيني أو الاستغناء عن الاعراب، أو من دعا إلى حصر اللغة العربية في مجالات دون أخرى، وغيرها من الحلول التي لا تعالج المشكل وانما تساهم في تفاقمه لأهداف غير معلن عنها بشكل صريح وان بدت واضحة للعيان.

أمام هذا الوضع المتأزم واحساسا بالخطر الذي بات يهدد لغة الذكر الحكيم وأمام الزحف الاعلامي الذي يروج للغة الاخر على حساب اللغة الام ويعتبرها مفتاح التقدم وروح النجاح بحجة أن التطور العلمي والتعليمي رهين بلغة ولا يتلاءم مع لغة كانت في زمن النور لها هي روح الحضارة ومقياس التقدم بل منتجة العلوم ومزودة الحضارات ومرجعها باعتراف من المستشرقين أنفسهم، ارتات هذه الدراسة لا أن تقف كما وقف غيرها موقف المتفرج على الوضع ولا اقتراح الحلول المقرة للوضع، لكن سبغ أغواره قصد وضع اليد على الداء واقتراح بعض الحلول الكفيلة بتغيير مفاهيم مجتمعنا أولا عن لغته وأهميتها حتى نقنع طلبتنا ودارسي اللغة بأهميتها من جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والتراثية والقومية والإنسانية ....ومن هنا كان البحث والتنقيب عن هذه المعوقات وأين تكمن وما أكثرها أهمية بالنسبة للطلبة، إيمانا بأنه لم تعد أدوار الطالب تلقي المعارف، وحفظها، واسترجاعها عند الحاجة إليها، بل أصبح يقوم إلى جانب ما سبق بدور المقوّم للأداء التدريسي للمدرس، والمناقش، والباحث عن المعارف،...إلخ(Chalmers, Fuller,

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. 1996, pp 49 - 50)

2/ اللغة العربية في مواجهة التحديات

يقول يوهان فيك في "كتاب العربية: دراسات في اللغة واللهجات" والأساليب "لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد قبل أكثر من 1300 عام عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة", (**فيك: 1980، 1**).

يقول اسرائيل ولفنسون: كانت الهجرة الاسلامية إلى خارج الجزيرة اخر حادث سامي عظيم وقع في الجزيرة العربية فاهتزت له ارجاء العالم اهتزازا عنيفا وصدرت عنه تموجات فكرية ونفسية عظيمة شملت اصقاع اسيا وافريقية وأوربا وأثرت في هذه البلاد تأثيرات ذات نتائج خطيرة جعلت التاريخ البشري في كل هذه الجهات يتجه اتجاها جديدا" (**ولفنسون: 1980،162**)

تثبت هاتان الشهادتان لمستشرقين ألمانيين أن اللغة العربية تمكنت من أن تتبوأ مكانة عالية بين لغات الأمم في أزمنة غابرة، حيث استطاعت ابتلاع الكثير من لغاتها فصيلتها الحامية والسامية في مناطق تداولها خاصة الارامية والعبرية والسريانية، كما أنها نحت كثيرا من اللغات عن الاستعمال في مناطق نفوذها لتحل محلها لغة رسمية، ومن الجدير بالذكر ان اللغة العربية قد سيطرت تماما على اللغات الأخرى في أوج قوة العرب الفكرية والسياسية وذلك بشهادات غير عربية؛ لقد" أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث حلت تماما محل اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية ... وقد عربت أهم المصنفات اليونانية في عهد العباسيين وانتشرت العربية في أنحاء آسيا، كما ذكر بأن العربية ظلت أداة للثقافة والفكر في إسبانيا حتى عام 1570م . (**أبو جبين : 2011 : 5**) واللغة العربية في الشعر الفارسي تمثل أكثر من ربوع مواده اللغوية كما أن اللغة التركية العثمانية أخذت من ألفاظ اللغة العربية كثيرا، وقد اثبتت دراسات كثيرة أن اللغة الانجليزية تتضمن اكثر من الف مفردة عربية وأن اللغة الاسبانية أكثر لغات اوربا نصيبا من الالفاظ العربية.(**عزام، 1958**)، وبفضل فتوح آسيا وأفريقيا تغلبت لغة العرب على كثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية، فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، وفي مصر وشمال إفريقيا، وفي جزء كبير من قسمها الشرقي المتاخم لبلاد الحبشة، مع أن الجالية العربية في هذه البلاد كان عددها أقل كثيرًا من عدد السكان الأصليين .

وقد وصفها فيكتور بيرار بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة ؛ فهي كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير.

إن اللغة العربية لم تأخذ قوتها من المعترفين فحسب، ولكنها اخذتها كذلك من التفوق والقدرة على البقاء وعلى الحياة وعلى ريادة المستقبل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنها اللغة التي تعبر عن أسمى أفكار وجدت في الكون، عن حياة الدنيا ومشاهد الاخرة، عن كوامن النفس الانسانية: الخير منها والخبيث، عن نزعات الشياطين ولطائف الملائكة، عن الحرب والسلام... اللغة التي نزل بها القرآن، وتحدث بها الاف الشعراء والكتاب... اللغة التي درست دراسة متقنة في جذور ألفاظها وهياكل تعبيرها وصرف كلماتها ونحو جملها ودقة أسلوبها وبلاغة خطابها. ولا تكاد توجد لغة أخرى عرفت عناية الدارسين كما عرفتها لغة القرآن" (غلاب، 66).

يقول ماسينيون: إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلالها انتقل إلى الحضارة الأوروبية ، وأن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي وأن استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل.

ومما يجدر ذكره أن الحروف العربية كانت تكتب بها كل من اللغات التركية ، والفارسية ، والماليزية والأندونيسية ، وأجزاء كثيرة من الحبشة وجنوب إفريقيا وبلاد الأندلس ، والهند والأفغان وبلاد آسيا الوسطى والبلقان . (خيري ركوة ، 2005) . وهذا من أكبر الأدلة على عالمية هذه اللغة وبقائها حية نابضة ، وهي تحتل اليوم اللغة الخامسة في المجامع الدولية إلى جانب اللغات الحية الأخرى .

ان ما سبق ذكره ليؤكد علاقة اللغة بالفكر والحضارة بمختلف مقوماتها. إن اللغة وعاء الفكر، وأداة التفكير. ومع أن الفكر ينطلق فطرياً من العقل كما يقول بزكلي، فإن تسلسله وتحليلاته ومقرراته تتم باستعمال اللغة وألفاظها وتراكيبها ومنطقها وكأنما يحادث الإنسان نفسه وهو في حال التفكير، كما نبه كولردج وبياجيه وجمهور علماء النفس، وهو ما اكده ابن حزم بالقول: والتأكيد على أن اللغة ثروة الامة وعلامة على متكلميها ومرتبطة بمستواهم الفكري والحضاري كما يقول ابن حزم، إذ برقي الامم ترقى اللغة وبضعفها تموت اللغة وتضعف. حين حظيت اللغة العربية"من أبنائها بالرعاية والعزم والاخلاص استطاعت أن تستوعب ما قل وما ترجم، واستطاعت أن تضطلع بعبء المصطلحات العلمية والفنية وتثبت في عالم العلم لغة علم وتأليف وتدريس". **مازن المبارك، 1981: 17**، ولما اهملها اهلها واحسوا بقصورها وعدم مسايرتها لروح العصروالتقدم ضاعت وتردت وضاع اهلها اذ من اللغة يبدأ الاستعمار ونجاح الاخر في استلاب الذات ونحن نؤمن ايمانا جازما ونقول مع مازن المبارك" إن الامة التي تهمل لغتها، أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية وحاشا أن نريد ذلك أو نقبل به. إننا نؤمن أن تعلم اللغة وتعليمها ليس مهنة أو قضية تعليمية وانما هو قضية وطنية ورسالة قومية" (**مازن، 1981: 21**).

إن هذه العلاقة بين اللغة والحضارة من جهة، وبين اللغة والفكر من جهة ثانية، تثبتها السياسة الاستعمارية الاوربية للمناطق العربية، مما يبين أن تراجع الاهتمام باللغة العربية سياسة استعمارية لكسب الشعوب وفرض القوى عليها عن طريق التفرقة وكسر الوحدة التي تمثلها اللغة الى جانب العقيدة وذلك عن طريق عزل اللغة عن العلم وابعادها عن الحياة، "لقد كانت اولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف الى الجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة" (**مازن: 1981، 11**)، وليست هذه الوصية الا ترجمة لتوصية سلفه المستعمر الفرنسي نابليون بونابرت الذي قال لبعثته الوافدة إلى مصر: "علموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وضحت هذه الدعوات لزعماء القوى العظمى في وقتها أن اللغة رمز للقوة ومعيار للوحدة والالفة، ومصدر العزة، وأمارة للمستوى الفكري للأمة، لذلك كان استعمار الفكر عبر اللغة وسيلة اساس لتيسير استعمار الاوطان العربية, وقد ادركت بعض الشعوب المستعمرة هذه الدلالات القوية للغة في علاقتها بالشعوب الناطقة بها وبفكرهم وحضارتهم، فاتخذت كسلاح للوحدة والتضامن وبالتالي رمزا للقوة في الدفاع عن نفسها هو إحياء اللغة والحرص على وحدتها كمثبت قوي لوحدتها ورمزا للتحرير، "إن نابليون غزا بلاد الالمان وجزأها ومزق وحدتها فقام رجال الفكر فيهم يبعثون اللغة ويحيون وحدتها معلنين أن الوطن مهما يتجزأ وطن اللغة الواحدة. إن أمما كثيرة مزقها الاستعمار فاعتصمت بوحدة اللغة واتخذت من ذلك سلاحا ضد التفرقة ورمزا للتحرير" (**مازن: 1981، 11**). وقد بالغ من عناية العرب بلغاتهم وتقديسهم لها في ما مضى من الزمن أن المرء إذا وجد في الطريق كلاما مكتوبا بالعربية رفعه ليضعه في مكان مناسب احتراما، وهو في الحقيقة احترام للفكر وللنطق وكذا كان الصينيون يفعلون (**اليافي، 1979**).

إن اللغة أيضا مقياس لمعرفة درجة الوعي وقياس الحضارة كما أكد ميريت (Merrit) أننا إذا أردنا أن نكشف عن منهج دولة ما، فعلينا أولا أن نفحص كتب القراءة في اللغة الأم المقررة في ذلك المنهج؛ لأنها تعكس واقع المنهج وطبيعته، ثم الفلسفة السائدة في تلك الدولة، والتي يفترض أن يكون المنهج مرآتها ... وكتب القراءة بؤرة تلك المرآة. Merritt, J . p,1972, 143)). ومعروف أن كتب القراءة هي الوعاء الحقيقي للغة .

إن علاقة اللغة بالفكر كما يرى علماء النفس ظاهرتان ملتحمتان، ولا يمكن التفريق بينهما، وذلك لأن الكلام الذي لا يعكس أفكارا مصدرها الأشخاص المتكلمون يمكن اعتماده لقياس مدى نمو وتقدم الفكر (**بوشوك، 1994: 119**). ن هبمبولدت، احد مؤسسي علم اللغة المقارن

ويرى سوسيور أن العلاقة بين اللغة والفكر ، يمكن مقارنتها بالورقة؛ فإحدى صفحاتها هي الفكر، والصفحة الأخرى هي اللغة، وكما أننا لا نستطيع أن نعزل وجهي الورقة فإننا لا نستطيع أن نعزل بين اللغة والفكر، وإنما نرى نوعا من التجريد البحت للعنصرين النفسي والصوتي. (**فضل، 1985: 43**).

ويرى السامرائي أن اللغة هي أداة الفكر، ويؤكد عدد كبير من العلماء بوجود علاقة عضوية بين اللغة والفكر، فقد عرفها ابن خلدون بأنها ملكة في اللسان للعبارة عن المعاني. ويرى مالنيوفسكي أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل فحسب؛ بل هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وهي جزء من السلوك الإنساني. (**أبو جبين، 1994: 7**).

ويعد التفكير أحد الوسائل الأساس في التحصيل المعرفي، كما أن عملية ارتقاء اللغة تؤدي إلى مهارات التفكير. وقد اعتبر واطسون زعيم المدرسة السلوكية أن الفكر هو اللغة (**الزراد، 1990: 75**). ونحن نرى بأن اللغة العربية هي الوعاء الحقيقي لفكرنا وتفكيرنا وثقافتنا وتعكس مدى رقينا أو انحطاطنا وكما يقول اهل النسبية اللغوية بان لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي ، وما من صراع سياسي إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويضيف خاقاني بأن اللغة إحدى أهم أركان الشخصية الإنسانية، والتعاريف القديمة للغة التي كانت ترى أن اللغة مجرد أداة لنقل الأفكار والأحاسيس تعرضت في الآونة الأخيرة لهجمة عنيفة من قبل المدارس الحديثة التي تؤمن باندماج اللغة والفكر في تكوين الكيان البشري (**خاقاني، 2005: 2**).

وهنا يطرح السؤال: لماذا تراجع الاهتمام باللغة العربية في المغرب؟ وما هي تحديات تدريس اللغة العربية في المغرب بعد الاستقلال؟

2/ واقع اللغة العربية بين اللغات:

لم يعد خافيا أن هناك كثيرا من اللغات مهددة بخطر الانقراض ، أو التراجع ، ولم تسلم من ذلك لغات عالمية كانت تعد حتى وقت قريب من أقوى لغات العالم وأكثرها انتشارا من مثل اللغة الفرنسية، ولم تكن العربية بمنأى عن ذلك على الرغم من أن هناك من يستند إلى أن التعهد القرآني في الذكر الحكيم بحفظ كتابه يعني ألا خوف على العربية ولا العرب ... وهناك من يرى بأن المحتوى الرقمي لها على صفحات الإنترنت محرج لها ولأهلها ... مما يحدونا إلى وضع بعض الحقائق عن واقع عربيتنا اليوم ، وما نعانيه...

لقد شهد نهاية القرن المنصرم ظاهرة جديدة أطلق عليها علماء اللغة " ظاهرة موت اللغات " كما برزت فكرة الصراع اللغوي وما ترتب على ذلك من اندثار لغات وشيوع لغات أخرى في مجال الدراسات اللسانية المقارنة والتاريخية وانفردت بدراسات وأبحاث أكاديمية، وموت اللغة يعني موت آخر الناطقين بها وانطماس هويتهم ودفن لحضارتهم. وأصبح الحديث والبحث في مصير اللغات الشغل الشاغل للعلماء ، وأصبحت هذه الظاهرة عنوانا ملفتا من عناوين العولمة اليومية ، وكتب عن ذلك الكثير ، وهناك من قَدَّر أنه من بين لغات العالم التي تعد بالآلاف تختفي لغة كل أسبوعين. وقد لا تكون اللغة العربية من بين اللغات التي توشك على الانقراض لكن علينا أن ندرك شدة الإلحاح في تصحيح الأوضاع عندما نعلم أن من يتكلمون الفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات الأوروبية ذات المكانة أصبحوا يشعرون بالتهديد المتمثل في إمكان طغيان اللغة الإنجليزية، وبدأوا بإنشاء ما يدعى التكتلات اللغوية. فتسعى فرنسا إلى إنشاء تكتل وقائي يجمعها مع الأقطار الناطقة بالفرنسية، وكذلك تنشئ المانيا تكتلاً يجمعها مع النمسا وسويسرا، وكذلك تفعل الدول الإسكندنافية. وكما يقول العالم اللغوي المعاصر نهاد الموسى في كتابه الشهير قيم الثبوت وقوى التحول:" ولم تكن العربية بمنجى عن هذا النذير – إذ هي عند بسام بركة – في مطلع اللغات المهددة.(**الموسى ، 2007**).

ولكن هناك من يعترض على أورده بسام بركة في مقال له بعنوان (**اللغة العربية وتحديات العصر الحديث، 2005**) بأن العربية لن تواجه هذا المصير مستندا في ذلك على شواهد ، وآراء علماء ليسوا من المتحيزين للعربية ولا للعرب، فقد أعلن الكاتب الإسباني " كاميلو جوزي سيلا " الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1989 عن توقعاته حول مصير اللغات الإنسانية وتنبؤاته المستقبلية بما ستؤول إليه الألسنة البشرية العالمية وتوصل إلى أن اغلب لغات العالم ستنقرض وتتقلص، ولن يبقى من اللغات البشرية إلا أربع قادرة على الحضور العالمي وعلى التداول الإنساني ، وهي : الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينية .(**الموسى :2007**،).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعزز الموسى هذا الرأي ؛ بأن المعترضين على موقف بركة السابق يرون العربية إحدى أوسع لغات العالم انتشارا ، ويرون أن المستقبل لها وللغة اليابانية ، وأن منزلتها بين اللغات العالمية ستتقدم، حيث تشير جداول تصنيف انتشار اللغات في نهاية القرن الماضي إلى أن اللغة العربية تتبوأ منزلة بين اللغات الإقليمية العالمية إلى جانب الصينية والفرنسية والروسية والإسبانية ، في حين تجعلها الجداول الإحصائية البيانية الخاصة بصعود اللغات وانحدارها لعام 2050 في مصاف اللغات الكبرى مع الهندية والأردية ، والإنجليزية والإسبانية ، بل يصنفها بعض العلماء من ضمن اللغات "القواتل" ، وهي : الإنجليزية ، والإسبانية ، والروسية ، والعربية ، والسواحلية ، والصينية ، والأندونيسية ، والملايوية .

وبالمقابل إذا تطرقنا إلى اللغة والعولمة، ونعني بذلك تواجد لغتنا العربية على الإنترنت ، فستصدمنا الحقائق الواقعية المذهلة، فأول ما يلاحظه المتصفح أن العربية تكاد تندثر وسط اللغات الأخرى، حيث تسيطر اللغة الإنجليزية على معظم مواقع الإنترنت في العالم ، وأصبح العرب ينشرون أبحاثهم أو يترجمونها إلى اللغة الإنجليزية ، وصارت طريق الشهرة المعبد للكتاب والباحثين والعلماء مما يعزز من وجود هذه اللغة–أعني الإنجليزية – ويهمش لغتنا العربية إلى أقصى الحدود ، وقد بلغ المحتوى الرقمي المنشور على شبكة الإنترنت ، ونقصد بالمحتوى الرقمي : المواد المعرفية المكتوبة باللغة العربية، والتي تعد للنشر على الإنترنت ، سواء أكان هذا النص يأخذ شكل النص العربي، أم المادة السمعبصرية أم الأشكال أم البرامج والقطع البرمجية ."

وبحسب الإحصاءات العالمية المنشورة تحتل اللغة الإنجليزية ما نسبته (68.4 %) من مجموع الصفحات المنشورة ، تليها اللغة اليابانية(5.9 %) ثم الألمانية (5.8 %) ثم الصينية (3.9%)ثم الفرنسية (3%) فالإسبانية (2.4 %) فالروسية (1.9%) تليها اللغة الإيطالية والكورية بنسب (1.6 %) و(1.3 %) على التوالي(فريحات ، 2007) .

وتشير هذه الإحصاءات إلى أن اللغة العربية لا تعد من ضمن اللغات العالمية على الإنترنت ، على الرغم من أن اللغة العربية تأتي عالميا من ضمن اللغات الست الأولى من حيث عدد الناطقين بها، وتعد إحدى اللغات الخمس المعترف بها من قبل الأمم المتحدة .

وفيما يتعلق بنسبة استخدام الإنترنت من الناطقين باللغة العربية فإنهم يشكلون (0,89 %) من مجموع مستخدمي الإنترنت، في حين أن سكان العالم العربي يمثلون 5 % من مجموع سكان العالم .

أما إذا انتقلنا إلى نوعية المنشور فمن الحقائق المفزعة أن المحتوى الرقمي العربي المنشور على الإنترنت يوصف بالضعف والفقر ، كما أنه قليل ومجزأ وغير منظم إضافة إلى أن طريقة تقديمه غير احترافية مع غياب وجود محرك بحث فعال في اللغة العربية ، وعدم وجود عدد كاف من البوابات الإليكترونية التي تنظم تجميع المعلومات ضمن محتوى اليكتروني فعال ومترابط. (**فريحات ، 2007**).

والخلاصة أن استمرار الغفلة التي تسود البلاد العربية عن أدارك هذا الخطر هو من قبيل قتل النفس. فالمسألة بالنسبة للغة العربية لم تعد مسألة ضرورة استخدامها وتطويرها وتطويعها إن لزم الأمر لتحيط بالفيض المعلوماتي المعاصر بدافع من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتزاز بها والانتصار لها، بل قد يصل بنا الأمر إلى ضرورة التحرك للحفاظ على مجرد بقائها لغة ذات قيمة وتأثير في عالم اليوم.

وهنا يطرح السؤال: لماذا تراجع الاهتمام باللغة العربية؟ ومن المسئول عن هذا الوضع؟

4 . أسباب تراجع الاهتمام باللغة العربية في التعليم بالمغرب:

يرجع تدهور اللغة العربية وتراجع الاهتمام بها إلى اسباب عامة وأسباب خاصة بكل بلد على حدة. وبالرجوع إلى المغرب موضوع هذه الدراسة، فإننا يمكن أن نشير إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

أولاها: التعدد اللغوي في المغرب حيث أن "المغاربة يتحدثون لغتين أساسيتين: البربرية (الامازيغية) والعربية. والامازيغية ثلاث لهجات، وهي: الريفية والامازيغية والشلحة" ويدرج ضمنها غلاب الحسانية أيضا، والواقع أنها لهجة غير امازيغية وانما من اللهجات العربية الدارجة بالمغرب المستعملة في المناطق الصحراوية, **غلاب 36 37** "ويتفق جل الباحثين على أنها أقرب اللهجات المغربية إلى اللغة العربية الفصحى.(**بوشوك، 29**.

إن اللغة الاصل للمغرب كما تثبت كتب التاريخ هي الامازيغية وان تعريب البلاد لم يحسم فيه الا في القرن الحادي عشر الميلاديبفضل قبائل بني هلال وبني سليم(**مقدمة ابن خلدون، 8/6**)، لذلك كان طبيعيا أن نسبة كبيرة من سكان المغرب أمازيغ، ما بين 50 و65 في المائة من مجموع السكان، ومعظمهم ممن يسكنون القرى النائية لا علم لهم ولا صلة بالعربية، سواء منها الفصحى أو الدارجة المغربية، وإنما يفاجأ بها داخل الفصل الدراسي الذي يبدأ في معظم المناطق الهشة بالالتحاق بالتعليم الاساسي في سن السادسة فما فوق دون حظ في الالتحاق بالاولي حيث يأخذ التلميذ مبادئ اولية في التواصل بالعربية بجانب اللغتين الاجنبيتين، فيجد نفسه أمام تحديين العربية والدارجة المغربية من جهة ثم الفرنسية من جهة ثانية. فلغة التواصل اليومي في المناطق الامازيغية هي الامازيغية بمختلف لهجاتها، نجدها متداولة في الوسط العائلي والاجتماعات وفي كل الحوارات واللقاءات غير الرسمية. وبما أن المناطق الامازيغية تمتد من الريف شمالا، إلى أقصى جبال الأطلس الصغير جنوبا، يمكن القول بأن الأغلبية الساحقة من سكان هذه المناطق يستعملون احدى اللهجات البربرية" بوشوك، 24. ولا يخفى على أحد مدى تأثر نمو مهارات التلميذ وقدراته اللغوية بالبيئة اللسانية التي يعيش فيها. نفسه

ولم يقف التأثر بالامازيغية على المناطق التي تستعملها كلغة أم وأنما بفعل التداخل بين مختلف مكونات الشعب المغربي وبفعل الرحلات المتبادلة بين سكان المغرب امتد الى كل المناطق المغربية.

وإذا قمنا بدراسة اللهجة الدارجة المغربية، نجد بأن عددا من مفرداتها يرجع إلى اصل أمازيغي، وكذلك التأثر بعدد من البنيات الصوتية والصرفية والتركيبية، حيث تختلف درجات التأثير والتفاعل من منطقة إلى أخرى, **ص.24**.كما أن نطق الطالب الامازيغي باللغة العربية يبدو متأثرا تأثرا كبيرا باللكنة الامازيغية ومن تم يكون في كلامه رطانة مهما حاول الاجتهاد في اتقان اللغة العربية والتمرين على أصواتها، ويصدق ما قاله الدكتور بوشوك: "إن الأصوات العربية، ونطق مخارج حروفها، ونبرها وتنغيمها، تعتبر من أكثر المتغيرات تأثيرا سلبيا، في تعلم اللغة العربية من طرف التلاميذ المغاربة، خصوصا في المناطق التي يطغى فيها استعمال البربرية على اللهجة الدارجة. حيث يسهل أحيانا التغلب على التداخلات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصوتية. مثل تفخيم الراء المكسورة واخفاء الحركات الطويلة، والغنة الخفيفة التي تصاحب الكسرة الخفيفة في الكلمات المجرورة..." (**بوشوك، 1994: 25**)، ولعل لهذا التأثر أثر كبير في نفور الطال ذي الاصول الامازيغية من التخصص في اللغة العربية ومن الحديث بها إذ غالبا ما يعتمدون في مقالاتهم ومداخلاتهم على اللغة الفرنسية بدل العربية التي هي الاقرب اليهم وقل منهم من يتوجه إلى اتمام الدراسة في تخصص اللغة العربية.

وأما السبب الثاني فلا يقل أهمية عن الأول وتمثله الحماية الفرنسية وما حرصت عليه كسلاح لاضعاف المغرب واحكام السيطرة عليه أولا من فك وحدة المجتمع المغربي عبر عنصر اللغة ومن خلال إعلان التفرقة عبر الظهير البربري سنة 1930 والحرص ثانيا على طمس معالم الهوية المغربية والثقافة الاصيلة واحلال ثقافة المعمر محلها عبر إحداث المدارس الفرنسية البربرية، لفرض اللغة الفرنسية في التعليم العمومي لغة أساس والتخفيض من ساعات اللغة العربية، وهو ما أعلنه الماسيو مارتي بالقول: " إن المدرسة الفرنسية البربرية ، هي إذن مدرسة فرنسية بالمعلمين بربرية بالتلاميذ، وليس هناك أي مجال لأي وسيط أجنبي. إن أي شكل من أشكال تعليم العربية، إن أي تدخل من جانب الفقيه، إن أي مظهر من المظاهر الاسلامية لن يجد مكانه في هذه المدارس، بل سيقصى منها جميع ذلك بصرامة (**أضواء على مشكل التعليم بالمغرب محمد الجابري ص 1 كتاب التعلم 20**)

وعلى الرغم من دفاع رجال الحركة الوطنية الحماسي المستميت، كي تحتل اللغة العربية وثقافتها مكانها الطبيعي كلغة رسمية للبلاد، لغة تخاطب وتواصل، لغة تعليم وإدارة, مع العمل على احيائه واغنائه، وعلى الرغم من محاولة الدولة المغربية تدارك الموقف بافشال ما عرف بالظهير البربري من جهة وتعميم تعريب التعليم بعد الاستقلال من جهة ثانية حيث أكدت كل الدساتير التي وضعت بالمغرب، على أن اللغة العربية هي الرسمية للبلاد وأضاف إليها الدستور الاخير الامازيغية كلغة رسمية ثانية، على اعتبار ان التعريب غاية مقدسة التحقيق، لاتمام الاستقلال والوحدة الوطنية لأن اللغة العربية تعتبر حجر الاساس لبناء الهوية المغربية،(**بوشوك، 1994: 22**) ، على الرغم من كل هذا فإن تلك النظرة الدونية للغة العرية متوارثة عبر الاجيال وفي نمو زائد يهدد بقاء هذه اللغة وحياتها.

وهو أمر كرسته العولمة وما يروج له روادها عن قصد من عدم انسجام اللغة العربية مع بعض مقتضياتها وخصائصها.

إن تأثير اللغة الفرنسية في تدريس اللغة العربية، قد يكون مساويا لتأثير الامازيغية، لينعكس هذا التأثير على تعبير التلميذ في درس العربية، لأن أغلب التلاميذ يعبرون بالفصحى ويفكرون بالدارجة، وبعضهم يفكر بالفرنسية، خصوصا إذا تربى في وسط عائلي متشبع بالثقافة الفرنسية في المناطق الحضرية التي تتواصل ساكنتها بالفرنسية، وخضع منذ نعومة اظافره لتعليم مفرنس, ويتجلى هذا التأثر في المفردات العديدة التي تتكرر في خطابات التلاميذ، مرجعها أصل فرنسي، وكذلك في عدد من التراكيب والتعابير، حيث تخرج عن النظامين الصرفي والنحوي للعربية" (**بوشوك، 1994: 30**). وهو ما يسميه البعض بالاستعمار اللغوي.

لقد أدت الدعاية التحقيرية والتنكيلية لسلطات الحماية باللغة العربية وثقافتها، إلى ظهور اعتقاد شاذ لدى بعض المغاربة، صعب التغلب عليه حتى بعد الاستقلال، يتجلى في اعتقادهم بأن تعلم أبنائهم باللغة العربية ذا أفق مستقبلي محدود، لن يؤهلهم لنيل الوظائف الحكومية وتحمل المسؤوليات الكبيرة في البلاد، وبأن اللغتين الفرنسية أو الاسبانية هما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لغتا الثقافة والعلم والمراكز العليا. ويرى هؤلاء بالتالي أن دور اللغة العربية يقتصر على الجانب الديني والروحي" (**بوشوك، 1994: 22**) وهو موقف ظل ملازما للبعض الى يومنا هذا بل هو في تطور من حيث الانتشار والاعتقاد به.

وكان نتيجة ذلك تحاشي أغلبية المثقفين، في السنوات الاولى التي تلت الاستقلال، استعمال اللغة العربية, وكذلك عزوف الشباب المغربي المتمدرس عن استعمالها كلغة تواصل أو كتابة وعن التخصص فيها. وهكذا لاحظنا بأن الادب المغربي المكتوب بالفرنسية، قد عرف ازدهارا كبيرا في السنوات الاولى للاستقلال على حساب الادب المغربي المكتوب باللغة العربية. (**بوشوك، 1994: 22**). ويبدو الاثر واضحا في الساحة المغربية الان حيث تبدو أن ادخال بعض الكلمات الفرنسية في التواصل بالعربية الدارجة بل الفصحى أيضا أمارة على النضج الفكري والتقدم الحضاري وعلى الانتماء إلى الاسر المتحضرة، وهذا يتضح من تهافت بعض أبناء العربية على استخدام بعض الألفاظ الأجنبية في سياق الحديث العادي.فقلما تتحدث مع مغربي له ادنى اطلاع على اللغة الفرنسية دون أن يرصع لغته ببعض الكلمات الفرنسية ولو تكلفا احيانا (.... Oui. Bien sûr. Si. D'accord. Salut)

وفي المقابل نجد الدول التي تعتز بلغتها تجرم مثل هذا السلوك، " الفرنسيون شديدو الاعتزاز بلغتهم الجميلة، القادرة على التعبير الدقيق عن كل شيء في الفلسفة والأدب والعلوم؛ لذلك يرفضون استخدام تعبيرات أمريكية، أو أسماء انجليزية، للدلالة على ما يريدون، ففي ذلك اتهام للغة الفرنسية .وذهب الفرنسيون إلى أبعد من ذلك ... أبعد من مجرد الرفض والاستنكار ، إلى فرض عقوبات على من يفعل ذلك (أي استعمال كلمات انجليزية وأمريكية في الحوار ، أو أسماء المحلات) أي على من يهين لغته وقومه ، ولا تسمح الدولة بالترخيص لأى محل أو شركة أو مؤسسة لا تحمل اسما فرنسيا " . (**أنيس، 1994**) .

واما السبب الثالث فيتمثل في انتشار العاميات وانفرادها بالحديث اليومي وانحصار الفصحى في حجرة الدرس والخطابات الرسمية واللقاءات الدينية، بل من المدرسين انفسهم من يقتصر على العامية. ونقصد هنا بالعامية اللهجة الدارجة المغربية، تمييزا لها عن لهجات بلدان الشرق العربي، نظرا للاختلاف الحاصل بين هذه اللهجات، رغم انتسابها جميعا للغة العربية وتفرعها عنها" يقول بعض الباحثين اللسانيين: إن هناك ازدواجية بين الفصحى العربية والعامية, فهناك . في نظرهم ازدواجية بسيطة ومعقدة، بسيطة باعتبار الجهات, فلهجة الشمال مثلا تختلف عن لهجة الجنوب (الصحراء) وقد تختلف عن لهجة الوسط أو لهجة الشرق عن لهجة الغرب. ومعقدة حينما يتعلق الأمر بالعلاقة بين الفصحى والعامية أيا كان مركزها ومستواها..." (**غلاب، 39**). وذلك راجع الى مؤثرات لغوية كثيرة منها التأثر بالامازيغية والفرنسة والاسبانية بحسب المناطق، يقول بوشوك: "يمكن اعتبار اللهجة الدارجة المغربية، كنتيجة لتفاعل وتلاقح التيارات الثقافية العربية الاسلامية والبربرية من ناحية، والفرنسة والاسبانية من ناحية ثانية. وبالتالي فإن هذه اللهجة تعكس الطابع الثقافي المتميز لبلدان المغرب العربي" (**بوشوك، 1994: 28**).

صحيح أنه لا يسمح باستعمال اللهجة الدارجة في تدريس مواد اللغة العربية، في المغرب على جميع المستويات التعليمية، كما هو الشأن في عدد من بلدان العالم العربي، ومع ذلك نجد عددا من المعلمين والاساتذة، يخرقون هذه القاعدة، ويستعملون اللهجة الدارجة أثناء انجازهم لدروس اللغة العربية، سواء أكان ذلك في المرحلة الجامعية أم فيما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبلها، فنراهمفي كثير من المدارس لا يستخدمون الفصحى في قاعات الدرس؛ جهلًا لها أوازدراءً لها أيضًا، ولا يحاسبون تلاميذهم عليها، بل إن بعض من يقومون بتدريس الفصحى- للأسف الشديد- ينطبق عليهم هذا القول، ثم إن ما يتعلمه الطالب من مدرسي اللغةالجادين الملتزمين بالفصحى يهدمه مدرسو المواد الأخرى، الذين يستخدمون العاميةويُحلّونها محل الفصحى دون أدنى غيرة عليها.، متجاهلين بذلك ما يتسبب عن عملهم هذا من اختلالات وثغرات لغوية لدى التلاميذ، كان من الاجدى بهم أن يعملوا على رصدها وتشخيصها والعمل على معالجتها، عوض التسبب فيها وتكريسها" (**بوشوك، 1994: 28**).وتأثير الدارج المغربية على الطالب تبدو جلية من نطق الحروف العربية واقحام الكلمات العامية عن غير قصد في اللغة العربية الفصحى، بل تؤثر على مدى حضور الطالب داخل الفصل الدراسي، حيث عدم القدرة على الحديث باللغة العربية الفصحى الالزامي تجعل الطالب يستغني كليا عن المشاركة داخل الفصل حيث االفصحى الزامية والطالب غير قادر على التواصل بها لتأثره الكبير باللغة الام إما الدارجة المغربية واما الامازيغية وقد تكون هي الفرنسية.

ومما ساهم في ضعف مستوى الطالب المغربي اللغة العربية، الاعلام المسموع والمقروء والمرئي، فالعربية الفصيحة التي يستخدمها الإعلام ولاسيما في نشرات الأخبار على ما فيها من أخطاء أسهمت في انتشار العربية, ولكن أصبح للإعلام دور سلبي وسيء في انتشار العاميّات , ولابد من إعادة النظر في هذا الأمر , فاستخدام الفصيحة البسيطة في المسلسلات، خاصة المدبلجة والتي لقيت اهتماما واسعا من الناشئة يؤدي إلى انتشارها في الوطن العربي , ويؤدي إلى انتشار اللغة العربية الفصيحة أهم عامل للتوحيد . ولما كان الطفل يقضي ساعات طويلة أمام التلفاز , فإن تلك اللغة العامية تقف عائقاً أمام تعليم العربية الفصيحة. وهنا ارى ضرورة الحرص على اعتماد اللغة العربية الفصحى في الدبلجة وفي سلسلات الرسوم المتحركة، فمن الأمور المتفق عليها لدى علماء التربية أن مرحلة الطفولة المبكرة، والتيتنحصر خلال السنوات الست الأولى بصفة خاصة، ومراحل الطفولة المتوسطة وهي بين سنالسادسة والتاسعة من العمر، وكذلك المرحلة المتقدمة التي تقع بين السن التاسعةوالثانية عشرة- هي أهم المراحل في اكتساب اللغة الأم وأن مزاحمة أية لغة أخرى للغة الأم في هذه الفترة يهدد اللغة الأم.

وإذا كان هذا الضعف ملحوظ في التعليم الاساسي والاعدادي والثانوي، فإنه يتضح بجلاء في التحديات الكبرى التي يجابهها تدريس اللغة العربية لا سيما في الكليات المخصصة وخاصة كلية اللغة العربية إذا نظرنا في مجموع الخصائص الجامعة بين غالبية الطلبة الذين يقدمون للتسجيل بها، ومستوياتهم في موادها وموقفهم من الاقبال عليها بل واسبابه ايضا التي تكون في معظم الاحيان خارج ارادة الطالب ولسبب اخر في معظم الاحيان هو عدم وجود البديل لضعف المعدل في المواد الاساس واعتماد التخصصات المحظوظة على الانتقاء وفق المواد الاساس كالعلمية واللغات الاجنبية. وايضا إذا لاحظنا معدلات طلبة كلية اللغة العربية في مواد التخصص وطريقتهم في التعامل مع اسئلة الامتحانات وطريقة كتابة الموضوعات، وتتضح إذا رجعنا إلى منجزاتهم الكتابية وتتبعنا طبيعة الاخطاء التي يقعون فيهل على مستويات مختلفة، معجمية وصرفية وتركيبية واسلوبية بل واملائية ايضا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يبدو النفور من العربية والعجز الكبير عن التواصل بها من المواقع الاجتماعية ومن جهاز الانترينيت بشكل عام، حيث تغلب على تواصل الشباب المغربي اللغة الفرنسية، ومن حاول اعتماد اللغة العربية، فهي الدارجة المغربية بحروف لاتينية، وعند استفسارهم عن السبب تجد الجواب المباشر إما صعوبة اللغة العربية وعدم التمرن على الكتابة بها على الحاسوب وإما لدونية اللغة العربية وعدم انسجامها مع مستوى من يتواصل معهم من الاشخاص او أنها لا تناسب النت، وقليل منهم من يعتز بلغته ويحرص على التواصل بها,

ان هذه الدراسة لا تعارض الانفتاح على لغة الاخر وتدريسها أو استخدام هذه اللغات في تدريس بعض المواد جزئياً أو كلياً حسب الحاجات التعليمية التي تُقدّر بقدرها. ذلك أن التفريط في تعلم اللغات الأجنبية هو إهدار لضرورة معرفية محققة بل تعترف بانها ضرورة حضارية ومطلب عالمي حثيث، لكن ينبغي الا يكون على حساب اللغة الام ولا بدافع تحقير اللغة العربية والاحساس بدونيتها، ولنا في السلف خير مثال على أن الاهتمام بالعربية لا يقتضي الانغلاق ولا انكار الاخر، ""ففي الحضارة العربية الاسلامية وفي جميع الحضارات الراقية ما يؤكد أن المثقفين لم يكونوا يقتصرون على لغتهم العربية. كان من علمائهم من يعرف السريانية واليونانية والفارسية والهندية. وقرأوا ونقلوا علوم هذه الامم وادابها الى العربية وبعض أصنافها الى اللغات او اللهجات الاسبانية حيث ما تزال تعيش كتراث اسباني الى اليوم. (**غلاب: 69**) وإذا كان هذا في الازمان الماضية فكيف بهذا العصر الذي أصبحت فيه اللغات مفتاحا للتعارف والتفاهم وتأمين الحقوق والمصالح، وطرقا إلى طلب العلوم الكونية التي تعتبر في مفهوم العصر شيئا ضروريا وتدخل في حياته دخولا أوليا، لكن تعلم اللغات الاجنبية لا يتنافر مع ما ينبغي أن تكون عليه لغة القوم من إعزاز مكانها ورفع مقامها حتى يكون لها التصرف المطلق في ظاهر الحياة وباطنها (**الرحالي، 1972**)، إن للغة قسطاً كبيراً من الدراسات العلمية في مختلف حقول العلوم الإنسانية. إنها آية لإبداع العقل، ومرآة صافية لثقافة المجتمعات البشرية. فاللغة ليست مجرد أداة للتعبير عما في النفس من الأفكار والأحاسيس، بل تتجاوز هذا الحد بتأثيرها الفاعل في نفس المتكلم والمخاطب, من خلال صبغ المضامين بصبغتها. (**خاقاني، 2005م: 1**).

إن اللغة وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته. وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، وإنما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتي إلا بهذه الوسيلة. بل هي امارة على تقدم المجتمع وتخلفه كما يقول ابن حزم: ، فاللغة كما يقول ثورندايك: هي أعظم ما ابتكره وأبدعه الإنسان (**الزراد، 1990م: 9**) .

كل ما سبق اذن يعد من الاسباب الرئيسة والعامة وراء تراجع الاهتمام باللغة العربية في المغرب خاصة، وفي الدول التي تعرف التعدد اللغوي على وجه العموم، لكن من أكبر التحديات التي تواجهها اللغة العربية اليوم ما نراه من إعراض الطلاب عن دراستها وما نراه من اهتمام زائد باللغات الأجنبية، فكيف نعيد اللغة إلى سابق عهدها ؟ وكيف نوجه طلبتنا المتميزين لدراسة اللغة العربية وموضوعاتها المختلفة ؟ وكيف نحدث التغير المطلوب في قناعات أبنائها للاهتمام بها وعصرنتها ؟ وكيف نقضي على معوقات دراستها ؟ هذا مشروع دراسة ميدانية مشتركة مع أحد المتخصصين في المجال التربوي وهو الدكتور ادريس جرادات عبر استبانة توزع على طلاب كلية لبغة العربية فرع جامعة القرويين بمراكش.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع:

- أنيس، منصور، الأهرام الأربعاء 25 / 5 / 1994 "
- بوشوك، المصطفى بن عبدالله. (1994م). تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافاتها. ط(2). الرباط: أطلال العربية للطباعة والنشر.
- الجابري، محمد، أضواء على مشكل التعليم بالمغرب محمد الجابري ص 1 كتاب التعلم 20
- أبو جبين، عطا محمد. (1994م) دراسة تحليلية تقويمية لكتاب التطبيقات اللغوية للصف التاسع الأساسي في الأردن. رسالة ماجستير (غير منشورة) الجامعة الأردنية :عمّان.
- أبو جبين، عطا محمد. (2011). استراتيجيات ومهارات التفكير الإبداعي في اللغة العربية. مكتبة الفلاح . الإمارات : العين.
- أبو جبين، عطا محمد وجرادات وإدريس (2012/2013): معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليلد،
- الحربي، شيرين بنت غازي سليمان (2008)، معوقات إبداع معلمة اللغة الانجليزية بالمرحلة الثانوية في تدريس المادة من وجهة نظر المشرفات ومعلمات اللغة الانجليزية بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- خاقاني، محمد. (2005م). العربية المعاصرة في خضم التطورات. الجمعية الدولية للمترجمين العرب.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها، وضبط كلماتها، وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها علي عبد الواحد وافي، ط.3-مزيدة ومنقحة، الفجالة، القاهرة: دار مصر للطبع والنشر، د. ت.
- الرحالي الفاروق، 1972، اللغات في الاسلام وترجمة الفرآن اليها، في مجلة دعوة الحق، العدد الثاني، ص ص 12. 15.,
- الزراد، فيصل محمد خير. (1990م). اللغة واضطرابات النطق والكلام. السعودية: دار المريخ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com